وفي هذا الوصف يظهر تفاوت أهل العلم والمعرفة . وهو المعبر عنه في اصطلاح العلماء بالتحقيق أو بالحكمة المفسرة بمعرفة حقائق الأشياء على ما هي عليه فزيادة قيد " على ما هي عليه " للدلالة على التمييز بين المختلطات والمتشابهات والخفيات .

وجملة (وا عليم حكيم) تذييل لهذا الإفصاح عن دخيلة الأعراب وخلقهم أي عليم بهم وبغيرهم وحكيم في تمييز مراتبهم .

(ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء وا سميع عليم) هذا فريق من الأعراب يظهر الإيمان وينفق في سبيل ا . وإنما يفعلون ذلك تقية وخوفا من الغزو أو حبا للمحمدة وسلوكا في مسلك الجماعة وهم يبطنون الكفر وينتظرون الفرصة التي تمكنهم من الانقلاب على أعقابهم . وهؤلاء وإن كانوا من جملة منافقي الأعراب فتخصيصهم بالتقسيم هنا منظور فيه إلى ما اختصوا به من أحوال النفاق لأن التقاسيم في المقامات الخطابية والمجادلات تعتمد اختلافا ما في أحوال المقسم ولا يعبأ فيها بدخول القسم في قسيمه فقوله (ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مغرما) هو في التقسيم كقوله (ومن الأعراب من يؤمن با واليوم الآخر) .

ومعنى (يتخذ) يعد ويجعل لأن اتخذ من أخوات جعل . والجعل يطلق بمعنى التغيير من حالة إلى حالة نحو جعلت الشقة بردا . ويطلق بمعنى العد والحسبان نحو (وقد جعلتم ا عليكم كفيلا) فكذلك (يتخذ) هنا .

والمغرم : ما يدفع من المال قهرا وظلما فهؤلاء الأعراب يؤتون الزكاة وينفقون في سبيل ا ويعدون ذلك كالاتاوات المالية والرزايا يدفعونها تقية . ومن هؤلاء من امتنعوا من إعطاء الزكاة بعد وفاة رسول ا A . وقال قائلهم من طيء في زمن أبي بكر لما جاءهم الساعي لإحصاء زكاة الأنعام : .

فقولا لهذا المرء ذو جاء ساعيا ... هلم فان المشرفي الفرائض أي فرائض الزكاة هي السيف أي يعطون الساعي ضرب السيف بدلا عن الزكاة .

والتربص : الانتظار . والدوائر : جمع دائرة وهي تغير الحالة من استقامة إلى اختلال . وتقدم الكلام عليها عند قوله تعالى (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) في سورة العقود .

والباء للسببية كقوله تعالى (نتربص به ريب المنون) وجعل المجرور بالباء ضمير المخاطبين على تقدير مضاف . والتقدير : ويتربص بسبب حالتكم الدوائر عليكم لظهور أن الدوائر لا تكون سببا لانتظار الانقلاب بل حالهم هي سبب تربصهم أن تنقلب عليهم الحال لأن

حالتهم الحاضرة شديدة عليهم .

فالمعنى أنهم ينتظرون ضعفكم وهزيمتكم أو ينتظرون وفاة نبيكم فيظهرون ما هو كامن فيهم من الكفر . وقد أنبأ ا بحالهم التي ظهرت عقب وفاة النبي A وهم أهل الردة من العرب .

وجملة (عليهم دائرة السوء) دعاء عليهم وتحقير ولذلك فصلت . والدعاء من ا على خلقه : تكوين وتقدير مشوب بإهانة لأنه لا يعجزه شيء فلا يحتاج إلى تمني ما يريده . وقد تقدم الكلام عليه عند قوله تعالى (فلعنة ا على الكافرين) في سورة البقرة .

وقد كانت على الأعراب دائرة السوء إذ قاتلهم المسلمون في خلافة أبي بكر عام الردة وهزموهم فرجعوا خائبين .

وإضافة (دائرة) إلى (السوء) من الإضافة إلى الوصف اللازم كقولهم : عشاء الآخرة . إذ الدائرة لا تكون إلا في السوء . قال أبو علي الفارسي : لو لم تضف الدائرة إلى السوء عرف منها معنى السوء لأن دائرة الدهر لا تستعمل إلا في المكروه . ونظيره إضافة السوء إلى ذئب في قول الفرزدق : .

فكنت كذئب السوء حين رأى دما ... بصاحبه يوما أحال على الدم إذ الذئب متمحض للسوء إذ لا خير فيه للناس .

ابن وقرأ . السين بفتح الجمهور قرأ وقد . الاسم وبضمها المصدر السين بفتح والسوء A E كثير وأبو عمرو وحدهما بضم السين . والمعنى واحد .

وجملة (وا سميع عليم) تذييل أي سميع ما يتناجون به وما يدبرونه من الترصد عليم بما يبطنونه ويقصدون إخفاءه .

(ومن الأعراب من يؤمن با واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند ا وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم سيدخلهم ا في رحمته إن ا غفور رحيم)